

محاضرة رقم 4: المنهج المنوغيرافي في دراسة المدينة والظواهر الحضريية:

عناصر المحاضرة:

تمهيد

1- مفهوم المنهج المنوغيرافي

2- قواعد المنهج المنوغيرافي

3- تطبيقات المنهج المنوغيرافي في دراسة المدينة والظواهر الحضريية

تمهيد:

من المناهج التي وظفت في علم الاجتماع عموماً وعلم الاجتماع خصوصاً؛ المنهج المنوغيرافي، الذي يقوم على قاعدة منهجية جوهرية تتمثل في الدراسة الوصفية المكثفة والعميقة للظواهر الاجتماعية، حيث يحاول الباحث الإحاطة بها إحاطة كلية، ويستخدم فيها هذا للمنهج أدوات وتقنيات مخصصة، من قبيل: الملاحظة بالمشاركة، وتحليل المضمون، السير الذاتية، وغيرها، لذلك سنعرض في هذه المحاضرة لأبرز قواعد هذا المنهج، ونشير إلى بعض تطبيقاته في علم الاجتماع الحضري.

مفهوم المنهج المنوغيرافي:

نعثر على العديد من التعاريف للمنهج المنوغيرافي في الكتب والمقالات التي تُعنى بالمنهج في علم الاجتماع، والمتفق بين هذه التعاريف على أنه عبارة عن دراسة ظاهرة أو وضعية اجتماعية أو حالة اجتماعية مرتبطة بمجتمع أو جماعات اجتماعية معينة، يطبق الباحث في الدراسة الميدانية أدوات منهجية خاصة، وعادة ما يتم الانطلاق في المنهج المنوغيرافي من الملاحظة المباشرة، ولا يتوقف عندها، بل يتجاوزها لإعادة بناء هذه الظاهرة أو الوضعية الاجتماعية المختارة.

"يهدف البحث المنوغيرافي إلى الوصول لفهم متعمق للطريقة التي يتبعها الأفراد المنتمون إلى الثقافات المختلفة والثقافات الفرعية في إدراك معني واقع حياتهم التي يعيشونها"¹، وبطريقة أخرى تقديم وصف اجتماعي للحياة اليومية للأفراد، والكشف عن ممارساتهم الاجتماعية والثقافية في منطقة جغرافية محددة.

2- قواعد المنهج المنوغيرافي:

¹ شارلين هاس بين، باتريشيا ليفي، البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية، ترجمة: هناء الجوهري، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ص 388.

- تنتهي الدراسات والأبحاث السوسولوجية التي توظف المنهج المنوغرافي إلى الدراسات الكيفية، التي تقوم على دراسة الظواهر التي تنتهي إلى العالم الميكروسوسيوغيا، مثل دراسة الجماعات الاجتماعية الصغيرة، أو مجموعة من الأفراد لهم خصوصيات مشتركة، وبالتالي، توظف تقنيات خاصة في جمع المعطيات الميدانية.

- تنطلق الدراسات والبحوث التي تعتمد على المنهج المنوغرافي من الواقع الامبريقي للظواهر الاجتماعية، بحيث يقوم الباحثون انطلاقا من ملاحظاتهم للظواهر في بناء موضوعاتهم البحثية، وهذا عكس الدراسات الكمية، التي ينطلق فيها الباحثون من فرضيات مسبقة، ثم يختبرونها ميدانيا.

- في المنهج المنوغرافي يتم الاعتماد في الدراسات الميدانية على الملاحظات المباشرة للظواهر على مستوى الميدان، ويقصد بها كتابة كل ما يلاحظه الباحث في الميدان، وما يرصده من سلوكيات يومية، مع الإشارة إلى أن الباحثون بإمكانهم توظيف أدوات منهجية أخرى في بناء موضوعاتهم، كجمع الشهادات من أفواه المبحوثين، و المعطيات الميدانية، الأرشيف، السير الذاتية، والخرائط.

- تتطلب الدراسات الميدانية التي توظف المنهج المنوغرافي الاتصال الدائم بمجال الدراسة الميدانية، وهذا عكس الدراسات الأخرى، التي يكون الاتصال بالميدان مؤقتا، ك لحظة تسليم الاستبيانات للمبحوثين.

- يتمثل موضوع الدراسات السوسولوجية التي تطبق المنهج المنوغرافي في تفاعلات الباحثين مع الفاعلين الاجتماعيين في حقل الميداني معين، وانطلاقا من الميداني يتم بناء الموضوع وإشكالية البحث، وكان الموضوع عملية مشتركة بين الباحث والمبحوثين، لذلك فهم الواقع الاجتماعي يكون من خلال رؤى وتصورات الفاعلين الاجتماعيين.

- يقوم المنهج المنوغرافي على تأويل أفعال وسلوكيات الفاعلين الاجتماعيين، لأنه يقوم على مبدأ جوهري يتمثل في فهم الظواهر بناء على فهم الفاعلين الاجتماعيين لها.

- من الأدوات والتقنيات التي نوظفها في المنهج المنوغرافي: السير الذاتية، والمقابلات غير الموجه، وتحليل الوثائق، فسيفاء هذه المعلومات هي التي تمكننا من بناء الموضوع.

3-تطبيقات المنهج المنوغرافي في دراسة المدينة والظواهر الحضرية:

- مدرسة شيكاغو والتحقيقات المنوغرافية:

-كانت أولى التحقيقات المنوغرافية أجريت من طرف الباحثين في مدرسة شيكاغو، عندما قاموا بدراسة المجتمعات المحلية الصغرى والأحياء السكنية للمهاجرين.

- دخول المهاجرين الريفيين إلى المدينة تولدت عنه العديد من المشكلات الحضرية: الفقر، البطالة، العنف...الخ.

- عرفت مدينة شيكاغو في بداية القرن التاسع عشر العديد من المشكلات الحضرية، عرفت ظاهرة النمو الحضري السريع، والهجرة الريفية إليها، هذا ما حفز الباحثين على إجراء العديد من الدراسات الميدانية حول هذه المشكلات الاجتماعية.

- قام الباحثون في مدرسة شيكاغو بدراسات منوغرافية لظواهر الفقر، الجريمة، العنف، والعصابات.

-المدينة وإشكالية التطور الاجتماعي أو الانتقال من المجتمع الريفي إلى المدينة.

-الفهم الحقيقي للحياة الاجتماعية يكون عبر فهم الأبعاد الذاتية للفاعلين الاجتماعيين.

- الأدوات التي تم توظيفها: الملاحظات الميدانية، المقابلات المباشرة، الوثائق والسجلات الرسمية، الزيارات الميدانية.

- يقوم المنهج المنوغرافي في سوسولوجيا المدينة على أربعة أدوات أساسية في الدراسات الميدانية: الملاحظة بالمشاركة، المقابلات، المقارنة، المصادر المكتوبة.
- في علم الاجتماع الحضري، يتحدد في الغالب الأعم الميدان في منطقة سكنية، أو حي سكني، أو شارع في مدينة، ومن الأمثلة على هذا النوع من الدراسات ، دراسة وليام فوت وايت، حول الحي السكني المعروف كورنفييل Cornoville، وهو حي يقطنه الأميركيون ذو الأصول الإيطالية في قلب مدينة بوسطن، وسعى الى فهم طبيعة التفاعلات الاجتماعية بين قاطني هذا الحي.
- المنهج المنوغرافي يقوم على قاعدة تتبع الأثر الاجتماعي.
- دراسة اوسكار لويس بعنوان : أطفال سانشز: دراسة اتوبوغرافية لعائلة مكسيكية، حيث قدم وصفا للحياة الاجتماعية لأطفال عائلة سانشز، من خلال القصص التي يرونها له.
- دراسة جوفان حول لنزلاء المستشفيات العقلية، صدرت تحت عنوان: مستشفيات الأمراض العقلية، وقدم وصفا لطبيعة الحياة الاجتماعية داخل هذه المصحات والمستشفيات.